

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

ان موضوع «طهارة قلب» من المباحث المحورية والمهمة جدا في علم الاخلاق. ان الزمن يمر وعمر الانسان ينتهي وبما ان هذه المسألة لا توجد مسألة اخرها باهيتها في حياة الانسان ولكننا غافلون مع الاسف.

منذ متى كنا ننكر في مراجعة انفسنا لنرى ما الضرر الذي سببناه لأنفسنا؟ وما هي المشاكل التي لم نخلقها لأنفسنا؟

ان نفس الانسان بحسب الروايات تكون بيضاء كلها نور حيث ان الله عزوجل يقول : «نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» فان الله تعالى يسلمنا امانة وهي النفس النورانية فكيف ينبغي ان نتعامل مع هذه النفس النورانية؟

بناء على هذه الروايات حينما يذنب الانسان تحدث نقطة سوداء في قلبه: «إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ وَقَعَ فِي قُلُوبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ» النكتة هي تلك النقطة السوداء وليس المقصود النكتة المصطلح العلمي الذي نستخدمه. وهذا السواد هو بدایة انحرافه.

هناك تعبيرات عجيبة بهذا الصدد في القرآن الكريم حيث يقول: «بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا»، فان القلب المذنب في جهل واحيانا يعبر القرآن الكريم بالمرض كما قال: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ»، وقد يعبر بالزعزع كما قال: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبَعَّدُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» واحيانا يعبر بالرین كما قال: «كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ»، ان الله تعالى تلطف علينا ان جعلنا من طلاب العلوم الدينية ومن المؤسف جدا ان لا نستفيد من كل هذه المعارف الدينية التي وضعنا بين ايدينا.

نستطيع من خلال الاستفادة من صفاء ايات القرآن الكريم والروايات ومراقبة النفس ان نظهر قلوبنا وارواحنا ونجعل وجودنا مثال للتجليات الالهية حيث ان الهدف من الدين هو هذا . فالقرآن لا يريد فحسب ان يذم الكفار ويقول: «وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً» او «قَسَتْ قُلُوبُهُمْ»، او «طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ»، فهل اننا نقرأ هذه الروايات لنقول ان هذه الایات مرتبطة بالكافر ولا علاقة لها بنا؟ ليس الامر كذلك ومن الممكن ن نبلي نحن بهذه الامراض ونكون من «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أو «طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ». لا توجد معلومات عن تصنیف مراحل مرض القلب في القوامیس ، ربما يكون في بعض الكتب الأخلاقية ، لكن أعتقد أن مثل هذا الترتیب يمكن ذكره ويقال إنه يبدأ بالغفلة. أي قبل أن يجد قلب الإنسان بقعة سوداء بارتكاب الخطيئة ، يبلي بالغفلة وهي نقطة انطلاق المؤس البشري. يقول: إذا لم اتمكن من الاتيان بالصلوة في اول وقتها سأصلی في منتصف الوقت. وهذه هي الغفلة ، فظهور هذه الأفکار هو من آثار وعلامات الغفلة عند الإنسان. إذا تخلف الإنسان عن الصلاة في الليل ، فإن أصل ذلك هو ما هو مقدار الحافز والقلق عنده للارتباط مع الله في الليل؟ إذا لم يفكر الإنسان في القيام لصلاة الليل فهذه هي الغفلة.

الانسان الذي لا يفكر في ان عمره في انقضاء فما مقدار اهتمامه بالعبادات والصلة والصيام وما مقدار فائدتها له؟ اذا لم يلتفت الانسان الى ان صلاته اليوم ينبغي ان تختلف عن صلاته امس واحلاته اليوم ينبغي ان تختلف مع احلاته في امس فهذا يعني انه غافل. وقد اعطانا الائمة المعصومین عليهم السلام الطريق الي يجعلنا نصلی صلاة الليل حيث قالوا عليك بهذا الذكر: «الهی لا تمكر بي مكرك و لا تجعلني من الغافلين»، اي ان احد العلل لعدم التوفيق لصلوة الليل هو ان الانسان يكون في زمرة الغافلين فاذا كان من الغافلين كيف يتوقع ان يستيقظ لصلوة الليل؟

فيصبح القلب أولاً غافلاً ، يغفل عن الله ويخلق أرضية لدخول الشيطان فيه، ثم تأتي الخطيئة إليه لتخيل أنني شاب الان أن خطية واحدة لن تذهب إلى نار جهنم ، والله كريم ورحيم ، أو هذه الكلمات التي قالها البعض في السنوات القليلة الماضية ، قال بعض

المتحدثين والخطباء الذي ابتكى بالانحراف الفكري: هل من الممكن أن يدخل الله عبده جهنم؟ هذه هي ذرورة الغفلة. وإذا جاءت الغفلة، فإنه يدفع بالإنسان إلى الابتعاد عن الخوف من غضب الله وعقابه، وبحسب الروايات، يمكن للمؤمن أن يرجع إلى الله بجناحين الخوف والرجاء.

ماذا يعني قولنا جهنم؟ هل يحتاج الله مع كل هذه العظمة أن يخلق عذاباً في القيمة ويدخلنا جنهم؟ هذه الكلام هو غفلة عن الله وآيات القرآن، وتجاهل لما قاله الله في القرآن، بل إن من أسباب التكرار في العبادة أو الأمر بقراءة القرآن لكي لا يغفل الإنسان، لأن الغفلة مقدمة للخطيئة، بارتكاب الخطيئة الأولى يحدث نقطة سوداء في القلب. والمقصود بالقلب ليس القلب المادي، بل النفس البشرية، وهذه النقطة السوداء هي أيضاً تشبهه، أي يصبح قسم من النفس الإنسانية التي هي كلها مضيئة مظلمة وسوداء. تقول الروايات أن الظالم إذا تاب تزول هذه النقطة السوداء، وإذا أخطأ ثانية، تعود هذه النقطة وتقبض روحه مرتين، ولكن إذا لم يوفق إلى التوبة ينتشر هذا السواد، والذنوب تبدأ من الصغار. ومن الغفلة أنه يقال: إن هذا ذنب صغير حينما تخرج شعرتان من رأس المرأة من قال هذا الذنب من كبار الذنوب؟ حتى لو كانت صغيرة، أليست الصغيرة من المعاصي؟ اليس مخالفة لله اليس عليها عقوبة أم ان عقوبتها قليلة؟

ونحن لو سلمنا هذا التقسيم في الفقه لكن لا نسلمه في بحث الأخلاق فإنه في الأخلاق لا يمكن تقسيم المعصية إلى صغيرة وكبيرة فان الروايات لم تقل : «اذا اذنب العبد ذنباً كبيرةً وقع في قلبه نكته سوداء»، فان هذا التقسيم موجود في الفقه دون الأخلاق من جملة الآثار لهذا التقسيم في الفقه هو ان مرتکب الصغيرة يمكن الاقتداء به والمشهور لا يقول بهذا التقسيم وفي المقابل يرون بعضهم ان هذا التقسيم لاوجود له في الفقه ايضاً، وعلى اي حال يبدو ان هذا التقسيم خاطئ في علم الأخلاق. حينما يكرر الانسان الذنب ولا يتوب تزداد هذه النقطة السوداء في قلبه حتى تملأ قلبه وتتحول الى رين «بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ»، فالررين هو ذلك الستار والحجاب الذي يغطي كل القلب و يجعل الدخول والخروج ممتنعاً. وفي بعض الاحيان يعبر القرآن الكريم بالاكنة «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً»، «أَكْنَةً» وتعني جمع كثبان بمعنى القطاع والغطاء ولم اصل الى نتيجة في من هو الاشد القطاع أوالررين وقد يكون الكنان مرحلة قبل الررين، فالغفلة تجعل هذه النقطة السوداء تزداد وتتحول الى رين واكنة. ثم ان هذا الررين اذا استحکم يتحول الى قسوة القلب ثم يصل الى «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، يا «طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» وحينئذ لا يمكن إصلاحه.

يجب ان نراقب ما يدخل الى قلوبنا وما يخرج منها وهذا التعبير هو تعبير المرحوم اية الله حسن زاده رضوان الله تعالى عليه فكان يستخدم هذا التعبير في دروسه. ينبغي ان نراقب أي نظرة أي حركة صدرت من عندنا، وما هو الذي يدخل في قلوبنا وذهننا؟ أحياناً نظن ان ما يزلزل الانسان سماع الموسيقى والغيبة والتهمة كلها! فان الاستماع الى البدع والاستماع للإنسان الذي يغتاب ويتهم ثم يقال ان الرجل محق!

وفي قم تم تشكيل جلسة وارادوا ان ينكروا الحجاب فما هو حكم الجلوس في هكذا اجتماع؟ وحتى لو ان شخصياً جلس واستمع ولو لم يكن راضياً! فتارة يذهب الانسان الى هناك ليرى أي كلام باطل يذكر هناك ليبرده ولكن هذا بنفسه اعنة على الاثم وهو اثمن كبير.

الخلاصة ان الانسان اذا أراد ان يبقى قلبه سليماً أي نفس هذا القلب النوراني الذي لا يعرف الا الله تعالى «إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»، وقد ورد في الروايات ان القلب السليم اي القلب الذي ليس فيه غير الله عز وجل فاذا رحل عن هذه الدنيا يأتي الى الله بقلب سليم فيجب ان نعرف ما يلتج في قلوبنا وما يخرج منها كما ولدته امه حيث لم يكن في قلبه شيء سوى الله.

حينما يولد الانسان يولد على الفطرة «كُلُّ مُؤْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» ولكن الانسان بعد ذلك يتالف هذه الامانة والفطرة وعليه فيجب الانتباه الى مراحل القلب والختن من العوامل يجعل القلب مريضاً «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» واما العوامل التي توجب الزيف المراد من الزيف يعني ان قلب الانسان يصل الى مرحلة يميل بها الى الباطل ويتجه نحو الباطل. فالمرض هو مقدمة الزيف، قلب الانسان حينما يغفل يبتلي بالمرض وحينما يميل نحو الباطل كما قال الله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَنْبَغِيُونَ مَا تَشَاءُبَهُ»، يترك محكمات القرآن ويتجه نحو المتشابهات فيصل الميل الى الباطل لدى الانسان الى هذه المرحلة الخطيرة.

ان اكثر البدع وجميع المذاهب الفاسدة على مدى التاريخ انما مالوا الى الباطل لهذا السبب وهو زيف القلوب حيث انه يجب ترك الحق جانبا والذهاب الى الفتنة «ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله»، يجب ان نفهم هذه المراحل ونؤمن بها.

ينبغي ان نحاسب انفسنا قبل النوم ونلاحظ ان قلبا في اي مرحلة من المراحل؟ فهل هو غافل؟ هل فيه نكتة سوداء؟ هل فيه مرض؟ وهل فيه زيف لا سامح الله؟ ان قلنا اننا نقبل بولاية أهل البيت عليهم السلام ولكن الناس قد بايعوا الخليفة الاول والثاني اذن فهو لاء هل هم على حق؟ هذا هو الزيغ.

القلب السليم هو الذي فيه التوحيد الخالص ، والتوحيد الخالص مكان لا شيء فيه سوى ولاية الأئمة المعصومين ، والعلاقة بينهم واضحة. من كانت لديه أدنى رغبة في قلبه لمن انفصل عن طريق أهل البيت ، فهو في قلب مرض وفي قلبه زيف. ان التبري حقيقة في بطن التولي وهما معا يشكلان حقيقة الولاية ، فليس من باب التبعد المحسن أن نقول يجب ان يكون لديك تولي وتبرى وانما التبرى موجود في بطن التولي ، ولكن بسبب اهمية التبرى تم فصله عن التولي. إطلاقا الولاية لا تأتي بدون تبرى ، فالولاية تعنى نقول إن الحق لهؤلاء فقط ، ومن ينكر هذا الحق تبرأ منه.«حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالكم».

للقضايا السياسية ووحدة الأمة مكانتها الخاصة ، و لولاية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وقوية الإيمان بتعاليم أهل البيت عليهم السلام مكانتها الخاصة. لسوء الحظ ، كثير من الناس يخلطون بين الاثنين. يجب أن يتحد الناس ضد العدو ويسيروا يدا واحدة ، لكن اليد الواحدة لا تعني أني أميل إلى باطلها! اليد الواحدة لا يعني أن اتخلى عن الحقائق الموجودة ، اليد الواحدة لا تعني أننا نضع الاسم المبارك (أمير المؤمنين (ع)) بجانب أسماء الآخرين ؟! هذه ليست يد واحدة هذا تنازل.

يجب أن نتحد ضد العدو ، لكن التنازل في أمور العقيدة والمعتقدات الدينية يسبب زيف القلب. أعزائي الطلاب أقول لكم ولنفسي أن كل من سار على نهج التشيع يجب أن يكون ثابتا على مسألة الولاية وأن لا يتنازل عنها ولا يضيع أي حق من حقوق الأئمة. من وفق ووصل إلى أعلى المراحل ، ومن أنعمه الله بنور كامل وحقق نجاحا ملحوظا في مجال العلم والعمل، كانت الولاية أهم جوانب حياته. طبعا ليس بشعار الولاية والظهور بالولاية ، رغم أنه يجب أن النداء حيث يحتاج إلى النداء، لكن من المهم أن يعتقد الإنسان في قلبه ان أمير المؤمنين وأبنائه منصبين من قبل الله. ويقول ان لا يحق لأحد الحكم والحكومة الا لله والأئمة الطاهرين (عليهم السلام).

لو كان يعتقد بهذا الامر لفهم ماذا يعني ظلم السيدة فاطمة الزهراء(س)؟ وماذا يعني ظلم أمير المؤمنين (ع)؟ وما تعني عاشوراء؟ وما يعني ان الامام صاحب الزمان (عليه السلام) يبكي دما؟ ولكن حينما يكون الاعتقاد فاسدا ينهدم كل ذلك. دعونا لا نتنازل أي شيء ، بينما يجب الحفاظ على تلك الوحدة. بداية الانحراف هي عندما يبتلي قلب الإنسان بالزيف . معناه أنه يميل إلى الباطل وينحرف عن الحق إلى الباطل، وهو كذلك في مسائل الفقه. لا يوجد سبيل للاجتهاد في ضروريات الدين. في دائرة الضرورات، لا تخطو خطوة نحو الاجتهاد! إذا فهمت أن شيئاً ما ضروري فاتركه ، بالطبع لا اشكال في الاجتهاد في تفاصيل وجزئيات ذلك الضروري ، ولكن لا طريق إلى اصل الضروري ، يجب الاحتفاظ بالضرورات.

على أية حال ، يجب أن نستعين بالله ، فهذا من الأمور التي يجب على الإنسان أن يسجد لها ويطلب من الله تعالى أن يريه في أي مرحلة يكون قلبه؟ ماذا يجب ان يفعل؟ ما الطريق الذي يجب أن يسلكه؟ تمر الحياة بسرعة كبيرة. في العام الأخير لوفاة والدنا الراحل ، قال: "هل تعلم قبل كم سنة مات أبي؟ قلت 30 سنة ، قال كأنه مات أمس! لقد مرت 15 عاماً على وفاة والدنا ، ومرت 30 عاماً وبضع سنين على وفاة السيد الإمام الخميني(ره) ، ما اسرع مرور الزمن ، نفكر في كل شيء ، لكننا لا نفكر في طهارة القلب! يجب أن نفكر في هذا ، كل هذه الدروس والبحوث هي لهذا الغرض ، حتى تطهر قلوبنا.

يقول المرحوم السيد طباطبائي هذه النقطة عجيبة جداً في تفسير الميزان أن الأحكام لطهارة القلب، والقرآن يقول في وجوب الوضوء والغسل والتيمم: «وَلَكِنْ يَرِيدُ لِيَطَهِّرُكُمْ»، إذا تغير أحد الأحكام ، أو لم ينفذ أحد الأحكام ، فإن قال: لا أخرج خمساً ، لا ألتزم بحجابي ، ذهبت طهارة القلب ، وإذا ذهبت طهارة القلب انغلق الباب لمعرفة الله ولن تكون هناك إمكانية لمعرفة الله. لا أحد

يستطيع أن يقول إني أؤمن بالله ولكنني لا أؤمن بحاكمه، إنه يكذب! ويخدع نفسه.

الالتزام جيداً بالاحكام. أنا لا أقول يجب أن تتroxى الدقة الزائدة في الوضوء والصلاحة ويحصل لديك الوسواس فيها، ولكن دعنا ندقق إذا صلينا هل صلينا بشكل صحيح أم لا؟ هل كانت ملابسنا ظاهرة أم لا؟ هل لدينا طهارة من الحدث أم لا؟ كم هو مقدار الانتباه والحضور في الصلاة؟ دعونا ننتبه إلى هذه الجوانب، هناك فرق بين الدقة والوسواس، فالشخص الغافل هو الوسواس، ولكن الشخص الواعي والشخص الدقيق لا وسواس لديه.

یک وقتی در مکه دیدم یکی از علمای بزرگ طواف می‌کند، گفتم به ما چطور طواف می‌کنیم و ایشان چطور؟ حرکتش دور کعبه آن چنان زیبا بود که این مطلب را به ذهن آدم می‌رساند. مرة في مكة رأيت أحد كبار العلماء يطوف ، فقلت اين طوافنا عن طواف هذا العالم؛ كانت حركته حول الكعبة جميلة جداً لدرجة بحيث لا تبقى في ذهن الانسان ولا ينساها. نسال الله عز وجله ان يوفقنا جميعاً لطهارة القلب.

والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته

[/https://fazellankarani.com/persian/news/24688](https://fazellankarani.com/persian/news/24688)